665826 ـ هل لها الامتناع عن معاشرة زوجها بسبب أذيته لها؟

السؤال

أنا متزوجة، ولدي ثلاثة أطفال، في كل نقاش مع زوجي يقوم بضربي، وتظهر كدمات، وأورام بجسمي، إنه شرقي جدا، يقول: أنا من يقرر كل شيء، أعيش معه مع أطفالي الثلاثة بألمانيا، ويريد مني الجماع، بسبب كثرة ظلمه وضغوطاته أصبحت أتهرب منه، وتأذيت نفسيا كثيرا منه، ولأ أستطيع النوم معه، ويدعي دائما بأن الله سيحاسبني، ويجب أن لا أقول له لا، والله، والله، من ظلمه أصبحت لا أستطيع مجامعته، ولا أريده أن يتقرب مني، هل هذا حرام؟ أرجوكم جاوبوني بضمير، وبكل حق؛ لأنه هو من وصلني لهذا الحد؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

السائلة الكريمة: نتفهم ما تمرين به من معاناة، بسبب الخلافات المتكررة مع زوجك، وما ذكرتِه من تعرضك للضرب الذي يترك كدماتٍ وأورامًا في جسدك، وما ترتب على ذلك من أذى نفسي، ونفور من المعاشرة الزوجية، ونقدّر حرصك على معرفة الحكم الشرعي فيما تجدينه من مشاعر وتصرفات، ورغبتك في الوصول إلى ما يرضي الله تعالى ويحفظ لك دينك وأسرتك.

ـ الأصل أن تحرص الزوجة على أداء الحقوق الزوجية الواجبة، وقد ورد الوعيد في امتناع الزوجة عن فراش زوجها إذا دعاها إليه، كما في الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري ومسلم، لكن فهم هذا الحكم وتطبيقه على حالة معينة يقتضي النظر في أسباب الامتناع والأعذار والظروف المؤثرة فيه، فلا يصح أن يُفهم الحديث بمعزل عن واقع العلاقة وما قد تتعرض له الزوجة من ضرر.

فإذا كان النفور ناشئًا عن الأذى الذي تتعرضين له، فإن ذلك يستدعي النظر في طبيعة هذا الأذى، ومدى تأثيره في قدرتك على المعاشرة، ولا يكفي مجرد وجود النفور وحده للحكم بأنك آثمة، كما لا يصح الجزم بأنك معذورة في كل امتناع دون معرفة تفاصيل حالتك.

ـ تكرار الخلافات المؤلمة والتعرض للضرب: قد يضعفان الشعور بالأمان والثقة بين الزوجين، وينعكسان على الرغبة في التقارب الجسدي والعاطفي، ومن ثم فإن نفورك من زوجك قد يكون مرتبطًا بما تراكم لديك من ألم وخوف وغضب، فينبغي التوازن في تقدير الظرف؛ فليس من الحق ولا من النافع أيضا: تجاهل مشاعرك. وليس من الصواب أيضا: أن تكون مبررًا لكل تصرف، أو موقف تتخذينه. وإنما ينبغي فهمها والعمل على معالجة أسبابها.

ـ قد يساعدك فهم طبيعة زوجك، والأساليب التي تتكرر بها الخلافات على اختيار طريقة أنسب للحوار معه، فإذا كان الحوار ممكنًا وآمنًا، فحاولي التعبير عن مشاعرك واحتياجاتك بوضوح وهدوء، مع تحديد السلوك الذي يؤذيك بدلًا من الاكتفاء بالاتهامات العامة، واختاري وقتًا مناسبًا للنقاش، وأجّليه إذا تصاعد التوتر ولم يعد الحوار منتجًا، فهذه بعض مهارات التواصل التوكيدي، التي تساعد على التعبير عن الحقوق والاحتياجات، دون تصعيد غير ضروري.

أما إذا كان الحوار يعرضك للضرب، أو يزيد خطر الاعتداء عليك، فلا تجعلي تحسين أسلوبك في التواصل مسؤوليتك الأولى، ولا تدخلي في مواجهة لا تأمنين عواقبها، بل قدّمي سلامتك وسلامة أطفالك على محاولة إقناعه في لحظة غضب.

ـ من المهم ألا تتحول العلاقة الزوجية إلى دائرة من التقصير المتبادل والانتقام، بحيث يصبح خطأ أحد الطرفين، مبررًا لخطأ الآخر، فاحرصي على أداء ما يجب عليك من حقوق وواجبات شرعية، مهما أمكنك ذلك، انطلاقًا من قناعتك بما يرضي الله تعالى، لا لمجرد الاستجابة للضغط أو الخوف، وألا تجعلي تقصير زوجك مبررًا تلقائيًا للتقصير في حقوقه، إذ قد يترتب الإثم على الامتناع عن حق زوجي واجب دون عذر معتبر شرعًا.

وفي المقابل، فإن الحرص على أداء الواجبات، لا يعني تجاهل الضرر الذي تتعرضين له أو الاستسلام له، بل اجمعي بين مراجعة تصرفاتك، والحرص على حقوق زوجك، ومعرفة حقوقك المشروعة، والسعي إلى رفع الأذى عن نفسك، فليس مطلوبًا منك أن تتحملي وحدك مسؤولية إصلاح العلاقة، ولا أن تتعاملي مع العنف وكأنه أمر ينبغي التكيف معه.

ـ قدّري مآلات الخيارات قبل اتخاذ قرار بشأن مستقبل العلاقة، فأمامك خيارات تحتاج إلى تفكير هادئ، وموازنة بين ما يترتب على كل منها من آثار دينية ونفسية وأسرية ومعيشية، دون أن يعني ذلك أن عليك حسم مستقبلك الآن، أو أن تتحملي وحدك تبعات القرار:

فاستمرار الوضع الحالي دون معالجة حقيقية: قد يزيد النفور والتوتر، ويؤثر في صحتك النفسية، وفي شعور أطفالك بالأمان، ويعرضك للإثم بسبب التقصير في أداء الحقوق الزوجية.

كما أن محاولة الإصلاح قد تكون نافعة إذا وُجدت إمكانية واقعية للتغيير وتوقف الأذى.

أما الانفصال، فقد تترتب عليه تحديات ليست بالهينة، تتعلق بالسكن والنفقة ورعاية الأطفال والدعم المتاح لك، والواقع الاجتماعي الضغط الذي تعيشون فيه، في بلاد الغرب.

لذلك كله: ننصحك أن تجعلي قرارك قائمًا على تقدير واقعي لما يمكن إصلاحه، ومدى توافر الأمان والدعم، وما يحفظ دينك وحقوقك وسلامة أطفالك، واستعيني بمن تثقين بدينه وحكمته، ممن هو قريب منكم، لعله من معايشته الواقعية: أن يكون أقدر على نصحكم.

نسأل الله تعالى أن يفرج همك، ويعينك على كل ما فيه الخير لك ولأطفالك، ويرزقك الحكمة والسداد والطمأنينة، ويحفظكم من كل أذى.

وينظر جواب السؤال (270518).

والله تعالى أعلم.